

المشائون الأفارقة عالقون على بابِ الجنة



لاجئون أفارقة عالقون على الشريط الفاصل بين مستعمرتي سبته ومليلية وسائر المغرب (AFP)

في طنجة، كانت البداية من حي بوخالف المجاور لكلية الحقوق، مستفيدين من بُعدهم عن وسط المدينة، ووجود طلبة أفارقة مقيمين هناك. ومع الزمن، ازداد العدد فأصبحوا نصف ساكنة هذا الحي، بشكل قانوني بالإيجار، أو غير قانوني من خلال اقتحام شقق خالية تركها أصحابها لسبب ما، وحين يعودون يجدونها مكتظة بأكوام بشرية من المهاجرين، ما يؤدي إلى صدامات عنيفة أحياناً. وحالياً، يعتبر هذا الحي من أكبر تجمّعات المهاجرين الأفارقة في المغرب وأشهرها خاصة بعد وقوع أحداث عنف ومواجهات بينهم وبعض السكان المحليين.

ومن الطول التي وجدها المهاجرون الأفارقة، اللجوء إلى الكنيسة خاصة في الأحاد، حيث لم تعد الكنائس خاوية بفضل وجودهم. فيلتقون هناك ويتوخّدون ويتشاركون التجارب والنصائح. وهناك أيضاً يلتقى المهاجرون السريون معوناتٍ غذائية وملابس من رعية الكنيسة، حيث تُخصّص أيام الإثنين والخميس لاستقبالهم ومنحهم بعض المساعدات العينية. كما استطاعوا تأسيس ناد ثقافي، ويقيمون مهرجاناً موسيقياً أسبوعياً في فندق «فيلا فرنسا» الذي شهرته لوحة ماتيس «النافذة» المرسومة فيه.

ومع قطع كل الطرق المؤدّية إلى الهجرة، يبقى خيار الاستقرار في المغرب

«تعالّ معي إلى الصعيد»، الجزء الثالث: حالة مدارس الصعيد، وأوضاع الأساتذة والطلاب فيها، ومستوى التعليم الذي بلغ دركاً خطيراً، وهي مشكلات يبدو أنها مشتركة مع باقي المدارس في الأراضي المصرية..

اقتصاد القبر في المغرب: تنتج أضرحة الأولياء عوائد ريعية لها ثقافتها الممتدة من التسوّل بالشارع إلى الأحزاب والسياسيين المتسولين للدولة. واستلّة حلب: هل انتهت الحرب وتفقدتْ بيتك؟ وماذا عن النازحين والكهرباء والوقود والسلال الغذائية..

«العدالة الانتقالية» في تونس: جلسات استماع علنية لضحايا الديكتاتورية. و«بألف كلمة» صور من مسابقة شوكان الفوتوغرافية، ومزيد على الموقع: المقاومة الشعبية للبلطجة في مصر، وغيرها..

يجلس مامادو على سور «المعجازين» في طنجة، المطلّ على البحر، في مواجهة

حلمه الأوروي الذي يقف قبائه، ولا يحول بينهما إلا 14 كيلومتراً، هي المسافة التي تفصل الشّفة الإفريقية التي قدم من أعماقها، والشّفة الأوروبية التي يريد الوصول إليها. يعترف أنّه حين قرر ترك كل شيء والارتقاء في مجاهل الطرق نحو شمال القارة الأفريقية، لم يكن يتوقّع أنّ الرحلة ستكون بهذه الصّعوبة وأن الطريق إلى الجنّة ستكون مفروشة بالجمجم.

استمرت رحلته قرابة أسبوعين، انطلاقاً من بلدة مالي، مروراً بالجزائر، وصولاً إلى المغرب على الأقدام. كانت رحلة جماعية مع عشرات غيره من الحالمين. بعد وصوله إلى المغرب، آخر نقطة من القارة التي يريد مغادرتها، اكتشف مامادو حياة ممكنة بعد طول انتظار للعبور، تتكلّل بالحصول على بطاقة إقامة. وإلاّ فيمكنه رهن الأيام للانتظار مهما طال، حتى تتاح الفرصة للهجرة ولو بعد حين. فحين لا يكون لديك شيءٌ آخر غير الوقت، فعالباً ستمنحه بسخاء.

محاولة الاندماج وصعوبة التوافق

تثير وضعية المهاجرين الأفارقة الشاعين للعبور إلى أوروبا من المغرب تساؤلات عديدة حول مستقبل الذين لم يوفقوا في العبور، وهم أغلبية قابلة للتزايد. كيف سيندمجون في المجتمع المغربي الذي لم يتعود على استقبال أجانب في وضعية صعبة؟ وكيف ستتعامل الدولة المغربية بمؤسساتها الاجتماعية والإدارية والأمنية معهم؟ وهؤلاء المهاجرون يقطعون مسافات طويلة، والمحظوظون منهم يأخذون حافلات، فيما الآخرون يمشطون الطرّيق بأقدام مصمّمة على المشي، مهما كانت وعورة هذه الطرق أو مخاطرها، أو نهايتها المجهولة. ثم بعد الوصول، يقطعون مسافات أخرى من الشّرق، باتجاه شمال المغرب من حيث يأملون بالعبور. وحين يصلون إلى تلك النقطة، يتشكّتون في الغايات بعيداً عن أعين الشرطة، في ظروف قاسية، أو يتوجهون مباشرة إلى المدن الكبرى والساحلية التي تقربهم من مكان ذلك العبور.

ينزلون عادة في شقق صغيرة استأجرها أصحاباً لهم عندهم إقامة قانونية، في جماعات تتكوّم في أمتار قليلة، في غياب شروط مقبولة. أو يقيمون في العراء، خارج المدينة، حيث يتدبرون أمورهم بالكاد، فيضنون خيماً من قصب وكرتون وأكياس بلاستيكية. أو ينامون في أنفاق مجاري لم يتم استجمالها، أو يفتشون الأرض العراء إن تعذرت الوسائل الأخرى. يأكلون بعض ما يجمعونه من حاويات النفايات، أو ما يمنحه لهم المحسنون.. أو، وكما يفعل مامادو، يأخذون بعض الخضار من البائعين، لقاء مساعدتهم في حمل الصناديق وتنظيف البسطات.

في طنجة، التي يعتقدون أنها بوابة ذلك العبور، يوجد مهاجرون من كافّة الأعمار، معظمهم شباب، لكنّ بعضهم تجاوز الأربعين. أكثريتهم من الرجال مع تزايد مستمر في أعداد النساء اللواتي تُثرن العجب لأنهن تتجنن وتحتملن مسؤولية أطفال في وضعهن الصعب. لكن وكما يقال، فإذا عُرف السبب بطل العجب، إذ نجد للمهاجرات الشريات اللواتي يُجنّبن في المغرب الحصول على بطاقة إقامة بشكل أسهل وأضمن، كما أن الشرطة لا تضايقهن إجمالاً وهن يحملن أطفالهن.. الذين هم أيضاً وسيلة للحصول على رزق من التسوّل.

دولة الواتساب.. حينما يدرّش الزعماء والقادة العراقيون

ولم تخرج هذه اللقاءات عن الطابع السياسي أبداً.

وهناك مجموعات درّشة على الواتساب تؤدي مهاماً تنسيقية بين موظفين كبار بحضور مرؤوسيهم. رئيس مجلس الوزراء عضو في مجموعات كثيرة، منها ما هو خاص بالوزراء ومنها ما هو خاص بالقيادات العسكرية. ومن المرويات من داخل هذه الحلقات الضيقة والسرية أن الأحاديث ليست بمستوى عال من التهذيب والكياسة، فهي في النهاية ليست رسمية ولا يمكن الاحتجاج بها حينما تسوء الأمور. وربما غادر وزير مُقال أو قائد عسكري تمت تنحيته مجموعات الدردشة هذه عند خروجه من منصبه. أما المفتشون العامون في كل العراق فلهم مجموعتهم الخاصة، وكذلك غالبية الدوائر المدنية في الدولة التي أصبح حضور مسؤوليها في هذه المجموعات أكثر وضوحاً منه في المؤسسة التي يدبرونها.

.. وحصّة في معركة الموصل

مع بدء معركة الموصل، تشكلت مجموعتا درّشة كتحالين إعلاميين من تجمع قنوات فضائية ومؤسسات إعلامية تزعمت إدخالها «شبكة الإعلام العراقية» الممولة من المال العام وأسّمت تحالفها بالوطني، فيما تحالفت قنوات إسلامية شيعية وأسّمت ما يجمعها بالإسلامي.. ولم تكن هذه التحالفات في بدايتها سوى مجموعات درّشة في الواتساب .

في العاشر من كانون الأول / ديسمبر الماضي وقعت قناة الدولة الرسمية («العراقية») في مطب خطير إثر نشرها لخر اغتيال نائب سني في طريقه إلى

يبدو الزعيم السياسي مشغولاً بيهاتفه الذي كثيراً، لا تنقطع الإشارات عن الوصول له ولا يستطيع هو الآخر تجاهلها. يتحدث هذا السياسي علل عن المجموعات الخاصة للدردشة في تطبيق المراسلة الشهير «واتساب». تجعله هذه النقاشات المكثفة قريباً من هموم الناس على حد زعمه. يشير من ناحية أخرى إلى أنها تجعله متاحاً للجميع، وهو أمر مقلق بالنسبة له. يقول هذا الزعيم أن السياسة أكلت نصف عمره وأن مجموعات الدردشة النخبوية ستأتي على ما تبقى. في الحقيقة، الشخصيات الكبرى في السياسة العراقية لا تتحدث كثيراً في نقاشات الواتساب إذا كانت تضم خليطاً من صغار السياسيين والصحافيين. ويقال أنهم يتحدثون كثيراً في مجموعات أقل تنوعاً وأكثر سرية. آنذاك تتحول المجموعات إلى مكان للأوامر والتوجيهات.

مجموعات درّشة أم مؤسسات

بدأت مجموعات الدردشة عالية المستوى هذه بالظهور قبيل الانتخابات النيابية الأخيرة 2014، وقتها بدأ شبّان مقربون من أحزاب سياسية كبرى أو ينتمون إليها بتكوينها وإدارة النقاش فيها. تأتي الشخصيات السياسية رفيعة المستوى بأرقام هواتفها لتمنح هذه المجموعة أو تلك أهميتها المنشودة. وهم، على الرغم من أنهم لا يشاركون كثيراً في الحوار، إلا أنهم يراقبون ويتابعون ويتدخلون عند الحاجة. «مركز الرافدين» و«واجهة الأخبار» و«غدأ» هي أسماء لمجموعات درّشة تحولت خلال عامين الى مؤسسات تنوزع فيها المهام. بعض هذه المجموعات قام بتنظيم لقاءات واقعية بناء على نقاشات الكترونية،

.. بفضل الاحتضان الذي تلقاه «السفير العربي» من السفير الأم، وسيجدد

نشر النصوص يومياً، ونرسل في نهاية كل أسبوع «نشرة بريدية الكترونية» تعيد تقديم تلك النصوص للقراء وتطلب منهم متابعتها، قراءةً وتعميقاً حين تروق لهم أو تهملهم. لدينا نحن جديد كل يوم، وهذا على مدار الأسبوع، علاوة على سائر الزوايا.

قررنا فريقاً وكتاباً وفنانين الاستمرار في هذه المغامرة، لضرورتها : من دون أي زهو، وبكل تواضع أمام المهمة الكبيرة التي يتصدون لها أو يرغبون. واعتبرنا جميعاً أن الاستمرار هذا امتحان لتلك الضرورة، فإن لاقى تضامناً وحماساً من قرائنا، نكون قد حققنا ولو منجزاً صغيراً، أن يلتقي كل يوم على الموقع المئات من كتابنا وكتابتنا المنتهين إلى المنطقة بطولها وعرضها، وأن يقدموا ما لديهم للناس، عسى نستمر. إذ، وكما قال الكاتب العالمي أنطونيو مّشادو ف«الطريق

اليومية للاضطهاد والإذلال الذي يوقعه المستسلطون عليهم، وكان آخر ما نشرناه في الصدو هو تجربة واحة جمنة، حيث تلاقى الفلاحون معاً ل«استعادة» أراضيهم وتسيير إنتاجهم وتسويقه.. وهي تجربة مستمرة. كما قدمنا تجربة مسرح «بصي» في مصر، الذي يروي علناً، ومن قبل الضحايا أنفسهم، قصص اضطهاد وتحرش وإساءات متنوعة.. وقدمنا من اليمن تجربة «قمر» التعاونية لإنتاج أفلام وثائقية، وفعّلنا شيء نفسه في العراق والسودان.. وهو همٌّ م منع «السفير العربي» من إصدار نصوص تحليلية باللغة الأهمية ومنها تلك التي كتبها رفيقنا اسماعيل الاسكندراني، المعتقل في مصر منذ عام ونيف، وكذلك رفيقنا محمد العسبي الذي تحوم شكوك جدية حول ظروف وفاته قبل أيام في صنعاء بينما كان منهكاً في عمل استقصائي عن مواضيع تخص الفساد.. طبعاً! وغيرها آلاف النصوص الفريدة من عموم المنطقة وقد ترجم بعضها طوعاً في

مستمرون..

يُشَقّ ويرتسم أثناء السير فيه».

تفاصيل!

ها نحن في الأسبوع الذي يبدأ يوم الخميس 5-01-17 ويختتم في 11-01-17.

وهو يخص العدد 224. وتستمر «السفير العربي» في الاعتناء بما تنشر، كتابة تحليلية نقدية رصينة وشؤون وشجون منطقتنا، نقصد أن تكون في متناول كل القراء وليس «المختصين» أو الأكاديميين فحسب، وتتناح بوضوح والتزام وإع إلى الفكرة / الشعار الذي تبناه «الملحق» منذ اللحظة الأولى، وكان سبب وجوده، وهو البحث في كل المجالات عما ليس خراباً في واقعنا وتقديمه والتمسك به، باعتباره واحداً من بوابات تجاوز ذلك الخراب. وقد بيّنا مقاومات الناس

مجموعات دردشته الخاصة التي تفنقد للتنوع وتمتاز بالسرية، وتحتوي، بالإضافة للسياسيين والإعلاميين، زعامات دينية وقبائلية ورجال أعمال ومستوليين حكوميين سابقين.

وللمعارضين كذلك مجموعاتهم

الناشطون المعارضون للأداء الحكومي والنيابي والقضائي لهم مجموعات للدردشة هم أيضاً، وهم يخططون لتظاهراتهم هناك أولاً. تضم هذه المجموعات القوة الناعمة من صحافيين وكتاب وفنانين ونشطاء سلام، ويكون معهم ساسة متعاطفون أو زعامات تؤيد الاحتجاجات وتدعمها. هكذا يبدو مشهد النقاش في السياسة والحياة العامة خارج الأطر الرسمية في العراق. وعلى الرغم من أن التنوع في شخوص الدردشة يكسبها قيمة وطنية، إلا أنها في الوقت نفسه تشرع الباب للمناكفات والشتمانم والتجريح، وكذلك فهي تنقل من فرصة إرسال سياسي لسياسي آخر رسالة مشفرة عبر تصريح أو بيان.. فما الداعي لذلك بوجود الواتساب في خضم حوارات عامة .

لا يبدو بعض ما يطرح في هذه المجموعات عادياً في توقيته على الأقل ومدى علاقته بالأمن والمعارك مثلاً، أو بأزمات الاقتصاد وتأثيراتها المستقبلية. وليس مستبعداً أن تكون هذه المجموعات مختزقة بشكل ما، وهو أمر خطير ومربك، وربما تكون مصدراً لمعلوماتياً للإرهابيين في بعض الحالات .

زاهر موسى
شاعر وإعلامي عراقي

مليار دولار أنفقتها مصر على شراء أسلحة بين عامي 2011 و2015، وهي: 6 غواصات هجومية ألمانية، و4 سفن محاربة فرنسية من طراز «كورفيت»، وفرقاطة فرنسية من نوع «فريم»، وحاملتا طائرات فرنسيتان من طراز «ميسترال».

5.5

قضية

التعليم في الصعيد: مشكلات «نموذجية» في طول مصر (3)



حسام بلان - سوريا

طريق كئيباً اعتقد أن كثيراً من المشكلات التي ذكرتها هنا (بخلاف طبعاً الخصائص السنية الملتزمة بالنظام التعليمي المصري بوجه عام، على مستوى المقررات والمعلم وطرق التدريس والتقويم) تخضع مدارس الصعيد. لكن اتضح أنها موجودة أيضاً في مدارس المدن الكبرى، وفي مناطق ليست شعبية أو عشوائية أو نائية (مع التأكيد بالطبع على حق أطفال هذه المناطق في الحصول على تعليم لائق). يبدو أن عجلة «التدهور» تسير بوتيرة أسرع كثيراً مما نتصور، وأنه بدلاً من إصلاح المعطوب فإن العطب يمتد وينتشر ليطال المزيد والمزيد، أما التطوير فليس له وجود إلا على صفحات الجرائد والسنة المسؤولين.

المدرسة

تضم القرية 4 مدارس ابتدائية (إحداها منقولة إلى مدرسة أخرى وتعمل في فترة سبائية لتهدم مبناها، وأخرى صغيرة لا يتجاوز عدد تلاميذها 165 تلميذاً بواقع فصل واحد لكل سنة دراسية)، ومدرسة إعدادية واحدة، جميعها حكومية «عادية» (هناك مدارس حكومية «مميزّة» (أسماً) بمصروفات أعلى، ومدارس خاصة في المدينة)، ولا توجد مدرسة ثانوية، وهناك معهد أهري.

إحدى المدارس الابتدائية (كنموذج) تتكون من مئتين، أحدهما قديم بحاجة إلى ترميم والآخر حديث بُني بمحة ألمانية، لذلك يسمّى «المبنى الألماني». وبينما مقاعد التلاميذ في المبنى الأول قديمة مثله، ومتهالكة، فإن مقاعد المبنى «الألماني» مصممة لجلوس طفلين فقط. ومع ارتفاع كثافة الفصول، والعجز في عدد المقاعد (يتجاوز عدد التلاميذ في الفصل 40 ويمكن أن يقرب من 60)، يضطر التلاميذ للجلوس على الفاصل الحديدي في منتصف المقعد.

تفتقد المدرسة (التي يعدّ مدرستها قريبهم من القرى «المتقدمة»، ويؤكدون أن هناك مدراس في قرى أخرى حالها أسوأ بكثير) كثيراً من التجهيزات، إذ لا توجد مثلاً حجرات خاصة بالمدرسين. صارت حجرة الرسم مقراً لمدرسين من تخصصات مختلفة فلم يعد فيها مكان للتلاميذ وللحصول على الرسم خاصة بعد توزيع مقاعدها على الفصول لسد العجز. أما باقي المدرسين فينتشرون في أماكن مختلفة. وبخلاف حُمام يعاني من طفح وآخر مغلق غير موصول بالمياه، لا توجد حمامات خاصة بالمدرسين، أما حمامات التلاميذ فتعاني مشاكل في الصرف وبحاجة إلى إصلاح، لكن الجهات المختصة جاءت وعابنت وقررت أن «حالتها ليست سيئة للغاية وأنها أفضل من مدارس أخرى».

ولا توجد حجرات خاصة لممارسة الأنشطة المدرسية «المتاحة» كالإقتصاد المنزلي أو النشاط الصناعي، إذ تجري ممارستها في الطرقة (أمام الفصول) مثلاً أو في فناء المدرسة الذي اقتطع جزء منه للمدرسة الإعدادية المجاورة. لا توجد أدوات رياضية لنشاط الألعاب «كان فيه كورتين، الأستاذ جابهم على حسابه أخذهم معاه لما مشي»، يشير أحد التلاميذ، الذي يشكو أيضاً من ضرب أساتذة للتلاميذ في المدرسة وسبهم. أما نشاط الموسيقى فغير مدرّج أصلاً في الأنشطة، فلا أدوات، سوى طبله و«كسيليفون» غير مستعملة، ولا يوجد أصلاً مدرس موسيقى. وإن أقيمت حفلات في بعض المناسبات تكون بمبادرات وجهود ذاتية من المدرسين. أما نشاط الحاسب الآلي فيجري اختيار التلاميذ «المتميزين» فقط للاشتراك به لعدم كفاية الأجهزة، إذ يدرّب الجميع على جهاز واحد من أصل 3 أجهزة، أحدها مخصص ملفات المدرسة والآخر عاطل عن العمل، مثله مثل شاشة العرض الكبيرة والجهاز الملتحق بها. تعمل هذه المدرسة بنظام الفترتين منذ عامين بعد ضمّ مدرسة أخرى إليها كفترة ثانية، لأن هذه الأخيرة مبناهما آيل للسقوط (وهذا وضع متكرر في قرى أخرى)، وهو ما أدى إلى ضغط وقت الحصص الدراسية وأثقل كامل التلاميذ الصغار (6 - 11 عاماً) الذين صاروا مطالبين بقطع مسافة أطول للوصول إلى المدرسة البديلة، خصوصاً بالنسبة للتلاميذ الذين ينتمون إلى أسر منخفضة الدخل، فهناك من يذهب سراً على الأقدام أو على عربة خشبية يجرها حمار أو وسائل أخرى مكشوفة يتكدس فوقها الأطفال.. «الفترة المسائية تنتهي قبيل المغرب وبعض التلاميذ تقع بيوتهم وسط حقول القصب مما يشكل خطراً عليهم»، يقول أحد المدرسين. وخلال عامين لم يحدث أي تقدم في عملية إعادة بناء المبنى المتهاك هذا، وهناك خلاف بين هيئة الأئمة التعليمية وأسرّة من الأهالي هي المالك الأصلي للمبنى حول تفاصيل البناء الجديد وحدوده.. ولا يوجد أصلاً موعد محدد لانتهاء من هذه الأعمال. دفع هذا الوضع التلاميذ وأولياء الأمور، الذين يخافون على أبنائهم من حوادث الطرق، إلى تنظيم وفتة احتجاجية بمقر المدرسة مطلع العام الدراسي الحالي للمطالبة بالعودة إليها. لكن الوضع في النهاية استمر على ما هو عليه.

فوضى التخصصات

ومع وجود أساتذة متخصصين في المواد التي يدرسونها أو

تلميذ وأجر

وبينما ترتدي البنات مريلة فاتحة اللون، فإن الأولاد لا يلتزمون بزى موحد «الرغم من قرار الوزارة بتوحيد الزي، فنحن نتساهل في الأمر لأننا نعلم أن هناك مستويات اقتصادية لن نستطيع توفير الزي المطلوب لأبنائنا، وإذا ضغطنا عليهم قد يؤدي الأمر إلى توقفهم عن إرسال أبنائهم إلى المدرسة» تقول الأخصائية الاجتماعية. وفي موسم حصاد القصب ترتفع نسبة غياب التلاميذ الذين ينتمون إلى أسر فقيرة لانخراطهم في أعمال الحصاد كأجراء، يتقاضون أجوراً زهيدة مقارنة بالكبار. كما تدفع الأوضاع الاقتصادية السيئة البعض، في مراحل تعليمية مختلفة، إلى عدم إكمال تعليمهم إذ يتجهون إلى العمل سواء في الزراعة أم سواها وكلها دنيا بطبيعة الحال.

الغش وأشياء أخرى

تنتشر الدروس الخصوصية، كما توجد حالات غش تجري أحياناً بصور فجة (وهذا يفسر أن يكون الطالب قد وصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية أو في المرحلة الإعدادية وهو غير قادر على كتابة اسمه!). وتتدخل هنا بالطبع علاقات القرابة والمعرفة. وفي سبيل تحقيق الغاية الممتثلة في أن تكون نسبة النجاح مرتفعة، تكون كل الوسائل مبررة. وهذه النسبة المرتفعة بالطبع لا تعبّر عن المستوى الحقيقي (المنخفض) للتلاميذ. أما المعهد الأهري فيشمل المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية (للجنسين). وقد قل الإقبال عليه بدرجة كبيرة، فعدد تلاميذ المرحلة الابتدائية على سبيل المثال أقل من ثلث عددهم قبل بضع سنوات. هناك أيضاً نقص في التجهيزات، فالمعامل مثلاً تخلو من الأجهزة المطلوبة. وينتشر الغش أيضاً («لو ما غشوش مش ها ينجحوا» يقول أحد العاملين في المعهد). وفيما يتعلق بالأنشطة، نجد أنه بينما تتسع حجرة نشاط الإقتصاد المنزلي (البنات)، فإنه لا يسمح لهن بممارسة نشاط التربية الرياضية بعد المرحلة الابتدائية (فقد كبرن!) وذلك على الرغم من اتساع مساحة المعهد وتعدد مبانيه. ويتساوى الجميع في الحرمان من نشاط الموسيقى، والمسألة هنا ليست مسألة إمكانيات بقدر ما هي منع واستبعاد، وهو أمر ليس غريباً في نظام تعليمي تسيطر عليه عقول سلفية.

الجامعة

أقرب جامعة للقرية هي جامعة «قنا» أو «جنوب الوادي»، وهناك أيضاً جامعتا سوهاج وأسوط. وبوجه عام فهناك 7 جامعات في الصعيد. وباستثناء جامعة أسوط التي تعد ثالث أقدم جامعة في مصر (بعد القاهرة والإسكندرية)، فإن هذه الجامعات ظلت لسنوات طويلة فروعاً لجامعات أخرى (القاهرة وأسوط) قبل أن تصبح جامعات مستقلة. يقول أستاذ بإحدى الكليات النظرية بجامعة المنيا: «جامعات الوجه البحري، وعلى رأسها القاهرة والإسكندرية أفضل حالاً منا بكثير. ويتسع الفارق في التخصصات العملية، نحن في جامعة المنيا على سبيل المثال نعانى من ضعف المكتبات وغياب الفعاليات الثقافية. نفتقد مراكز تعليم اللغات وغيرها من المراكز الثقافية وكذلك المكتبات العامة، إذ توجد مكتبتان

حقيقية وقوية من قبل الدولة. حتى أشد عادات وتقاليد الصعيد تغلغلاً وقسوة مثل الثأر يمكن معالجتها والتغلب عليها بالتوعية المكثفة والمستمرة، وبتطبيق القانون بصورة صارمة وسريعة حتى يستعيد الناس ثقتهم فيه، وينشر المؤسسات الثقافية لبث الوعي والتنوير.

منى علام
كاتبة وصحافية من مصر

غياب المراكز البحثية التي تستوعب طاقاتهم. ويضيف الأستاذ: «يعكس وضع جامعات الصعيد الأوضاع العامة في هذه المحافظات المظلومة تعليمياً وثقافياً وصحياً وإعلامياً. وظلم الصعيد درجات. فالمدنية مظلومة بدرجة والقرية بدرجة أكبر بكثير. المشكلة أن الدولة دائماً تركز على الإجراءات الشكلية لاستهلاك الإعلام، وتلجأ للحلول الوقتية أو العرفية وليس الحقيقية الجذرية. الإصلاح ليس مستحيلاً ويمكن تحقيقه ولو بصورة تدريجية لو كانت هناك إرادة

في مدينتنا، مكتبة مجلس المدينة ومكتبة قصر الثقافة، وكتبها عتيقة متهاكة وموظفوها غير متخصصين. كنت في مرحلتي الماجستير والدكتوراه أضطر للسفر إلى القاهرة والإسكندرية وغيرهما للاطلاع على الكتب التي أحتاجها.

الآن سهّل الإنترنت الأمور لكن نظل المكتبة الورقية مهمة لا يمكن الاستغناء عنها». كما يشكو طلاب وباحثون من النظرة الفوقية لبعض الأساتذة المعينين من خارج الصعيد إليهم ومن



تلميذات وتلاميذ من المدرسة

بالأرقام:

• وفقاً للمسح الشامل لخصائص الريف المصري لعام 2015 الذي أجراه «الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء»:

95.3 في المئة من القرى بها مدارس ابتدائية حكومية

18.2 في المئة فقط بها مدارس ثانوية

82 في المئة بها مدارس إعدادية

85 في المئة بها مدارس ابتدائية وإعدادية

• تبلغ نسبة سكان الصعيد الوجه القبلي، بحسب التعداد الأخير الذي أجري عام 2006، 33 في المئة من مجمل المصريين. ويشمل الوجه القبلي محافظات الجيزة، بني سويف، الفيوم، المنيا، أسوط، سوهاج، قنا، الأقصر.

اقتصاد القبر وامتداداته في حياة المغاربة

طفل يحمل صحناً فيه قطعة ثوب أخضر عليها بضغ قطع نقدية يحيط به أقرانه مرتدين بذلات متشابهة، ويجوبون الشوارع مرذدين «عاون الفريق». إنه التسول بالريضة. في الكورنيش طفلة تتبع سائحاً ليعطيها صدقة بينما أمها تراقب المشهد عن بعد. في مقاهي الدّار البيضاء لا تمر دقيقة دون أن يقف متسول أو متسولة على رأس الزبون. وهذا إيقاع يفرض على رب المقهى تشغيل نادل قوي البنية يتوسل للمتسولين للابتعاد عن المكان قبل أن يهدد باستخدام عضلاته..

يدعو المتسول للزبون بالصحة وطول العمر ويختم «الله يفيض خيرتك». يستعير تضاعف حجم الخميرة للرزق. بعضهم ينغمّ دعواته من طول ممارسته للمهنة.. يأتي بائع يعرض ما لا يحتاجه الزبون، وحين يرفض الشراء يطلب منه «التعاون معه»، أي منحه نقوداً دون أن يشترى.

يجري ذلك بمعدل عشرين متسول متنوع على هذا الشكل في ساعة، يبالغ المتسول في استعطاف استفزازي غالباً ما يأتي أكله لأنّ الزبون يريد التخلص من الإزعاج. وهذه من ديناميات التسول، وهي مدرة لدراهم باردة. وهي دينامية مناقضة لدينامية الرأسمالية التي تنتج سلعا.

الرّجال المتسولون في قلب الدار البيضاء أكثر من النساء حسب الملاحظة العيانية.. وفي بعض الحالات لا يفسر الفقر اللجوء للتسول.. وليس صدقة أن انتقلت ثقافة التسول إلى صفحات الفايسبوك وكثرت طلبات الادلک والدعوات مثل «دعواتكم أصدقائي، مريض الخ..».

وعند تفكيك ثقافة التسول بالعودة لجذورها، نلاحظ أن سلوكيات التسول انتقلت من قبر الولي الصالح إلى المقاهي ومختلف نواحي الحياة الاجتماعية. وحدها المقاهي تزيد عن عدد قبور الأولياء في المغرب. في محيط القبر المدّر للدخل بفضل النذور والهبات، يعيش المريدون مجاناً. أيديهم ناعمة ووجوههم بيضاء مشربة بحمرة حتى في جنوب المغرب الفقير والحر. يعيشون في الظل بفضل الريح، ينظرون للعالم من ظل القبر، يشتمون الحياة ويمجدون الحياة الأبدية.. يمدحون الموت ويستغفرون النفس لإظهار التواضع، يتخذون من الدروشة والمظلومية سبيلاً لاستدراار العطف التقدي والعيني..

مكانة القبر

المقبرة هي أوّل تجمّع بشري مستقر في حياة الرحل. يعتبر القبر في البوادي المغربية رمزاً للجد المؤسس الذي تستقر حوله القبيلة. القبر جذر، مجال انتماء، مركز جينولوجيا القبيلة، تنشأ حوله الحقول والمنازل، وسكانها أقلّ عناداً من الرحل ولا يفهمون شعار «قل كلمتك وامش»، بل يقدّسون الاستقرار. لذلك تُظهر القبائل الوفاء لأوليائها / جذورها. وللوفاء بعد نقدي (من النقود لا من النقد، البناء أو الهدام).

أقدم المدن في التاريخ مقابر. وقد يكون القبر رمزاً لدولة مثل الضريح المبيجل لمؤسس الدولة المغربية مولاي ادريس زرهون (793 ميلادية) الذي يزار حتى لليوم. وللقبر مكانة كبيرة في الثقافة العربية الإسلامية. فالقبر عتبة بين الدنيا والآخره. وحاليا يحتل القبر ويوم القيامة مكانة كبيرة في الخطاب اليومي، ووعياً بأهمية القبر، صور المخرج الإسباني أوليفير لاكس فيلم «ميموزا» في المغرب عن شبان يتحملون عبئاً رهيباً لدفن جثة شيخ في بلدته الجبلية. فيلم عبثي عن وزن جثة الشيخ التي تقود مصبرنا. وقد حصل الفيلم على الهمم الذهبي لأفضل فيلم أجنبي في مهرجان القاهرة.

الأولياء هم تحبّ البوادي، وأن يكون الولي أمياً ليس مشكلة بل هو امتياز لتشبهه بالنبي. ويقال إن مكان القبر كان خلاء ولا اسم له قبل أن يستوطنه الولي ويعطيه اسمه. في قرية خميس سيدي يحيى (70 كيلومتره شرق الرباط)، جاء الاسم من دفن المكان، الولي الصالح سيد يحيى، وعلى بعد كيلومتريّن منه

ضريحا وليين آخرين: سيدي المخفي وسيدي اليماني. وخلف مبنى هذا الأخير حفرة حولها ثلاثة أحجار تسمّى «دار الضمانة». حجر «مقدس» تعقد حوله القبائل اتفاقياتها وهو يضمنها.

في هذا الضريح، كانت تضاء شمعة كل ليلة.. لقد نشأ السوسيلوجي البصا في بادية فيها ثلاثة أضرحة في دائرة لا تتجاوز الكلمتريّن. يمر بها يومياً في طريقه للمدرسة. هنا تدخل الزائرات الضريح حافيات، يضنّ شمعة ويظلمن العاقية والأولاد والبركة. لا يظلمن الرزق من الضريح بل من الله.

تقديم الشمع ليس أمراً هيناً في عصر الظلام، يصعب على من ولد في عصر

الكهراء أن يفهم الشمع، لكن مليارات البشر الذين عاشوا قبل الكهراء يعرفون فعلاً ما معنى الظلام، كما يعرفه اليوم طفل وحيد في غرفة حين تنقطع الكهراء ليلاً. الشمع غالٍ في عصر الظلام، وهو هدية رمزية أيضاً.

مدآخيل القبر

في مناطق أخرى من المغرب، حيث مقابر أكثر شهرة ونفوداً، تُنظّم مواسم سنوية ضخمة. يحكي مؤرخ في القرن السابع عشر أن عدد الحاضرين في موسم



ضريح مولاي ادريس في المغرب

مهاجر من أفريقيا السوداء داهمهم البوليس الجزائري ليلة الثاني من كانون الأول / ديسمبر 2016 في تجمعات إقامتهم واقتادهم إلى معكسر بائس في ضواحي العاصمة ثم إلى الحدود حيث طردوا.

1400

زاوية بلغ اثني عشر ألفاً ذُبح لهم بين يوم ويلة 700 من الغنم و 200 من البقر و20 من الإبل. تترافق الزيارة مع طقوس رقص وجذبة، وتساهم طقوس الرقص الجماعي الشبيهة بالصرع في التطهير. وفي الفترة نفسها حصل أمر مشابه في أوروبا. يتحدث المؤرخ إريك هوبزباوم في كتابه «عصر الثورات» عن الحاجة لتفريغ الطاقة البدنية للأتباع. وقد جرت مشاهد رقص وتفريغ مماثلة في ضريح الشيخ الكامل الهادي بنعيسى وسط المغرب في 2015.

عدد الذبائح التي تساعد على توالد الرأسمال الرمزي للولي هي الاهم في كل هذا. فللولي موارد اقتصادية ليطمع أتباعه. فإذا فرغت قدره قلّ أتباعه. ويغني الرأسمال الرمزي اقتصاد القبر. من أين تأتي موارد القبر؟ من حاجة المغاربة للتصدق لصد شر العين، لصد شر غامض. وكل من يخاف من الحسد يعتبر وضعه جيداً وهو راضٍ لا يثور. من زكاة القبائل، من الوفاء للندور، من الكفارة عن كل يمين حنثت، في لحظات الأزمة يعلن الفرد النذر، وفي محاولة التأثير على من حوله يُقسم.. وحين تمر الأزمة أو يخلف القسم يجب أن يدفع الكفارة، والمستول عن القبر الشريف يتسلمها بفرح. وحتى في 2016 يعطي المواطنون ووزارة الداخلية والقصر الملكي الأموال لخدام الضريح فيزيديون في نفوذهم.

امتدادات ثقافة التسول

لا يحرث المريدون حتى عندما تملك زاوية الولي أراضٍ فلاحية، بل تأتي القبائل لتحرث جماعياً للولي، ويسمى هذا «التوزية»، أو يؤجر الولي وسللته الأرض لفلاحي القبائل. ومن يأتي الزاوية يأكل. يحكي ابن الزيات صاحب كتاب «التشوف» (1220م) أن ولياً جاع «لفظظ له البحر سمكة فأكلها نيئة». فما هي الخواص السيكلوجية لزوار الضريح التي تنتقل لحياتهم ولمجمل سلوك المغربي؟

تعلم السوسيلوجي البصا في الإبتدائي حكاية «تعال نحلّ رؤوسنا بالمجان»، وهي ترسخ عادة الحصول على المجاني. وليس صدقة أن يطلب التلميذ من الأستاذ معاونته بالنقاط غير المستحقة من باب التسول. وبجانب المدرسة، يرسخ التصوف صورة الحياة الدنيا في الثقافة الشعبية: غدارة، متقلبة، فاسدة، قبيحة.. وبالتالي فهي مُثفّرة، ومن ينجح اقتصادياً يوصف بأنه «يحمل وسخ الدنيا». هذه عقلية تشجع على الهروب من الحياة الاقتصادية وتُعطل قوى الإنتاج. يشتم ابن الجوزي المتصوفة لأنهم يفضلون التوكل على الكسب ويرددون «لا بد من أن يصل إلينا رزقنا». ورزقهم يصلهم وافرأ. ولم يشكك أحد من قلة اللحم في حفلات الأضرحة. فالقبر ليس مجرد حفرة، إنه نواة تنظيم اجتماعي يشد التماسك الاجتماعي وينتج مشاعر توحيد أقوى من الاسمنت.

غير أن هذه الفوائد لا تلغي النتيجة الفرعية:

لقد أورتنا اقتصاد الهبات ثقافة التسول الآن. وحين يأتي أطفال يطلبون صدقة فهذا يضمن مستقبل ثقافة التسول. ولا يقتصر التسول على الفقراء، فالأغنياء يتسولون الدولة، ويسمى ذلك «الريع»، وهو تسول الكبار. صحيح أن المغرب يتبنى اقتصاد السوق. صحيح أن الريع عدو السوق، لكن يوجد ريع في بطن السوق، ريع هو عبارة عن تسول احترافي. ففي دولة الريع العطوفة الكريمة شعب ينتظر العطايا، زعماء أحزاب خسروا الانتخابات ويتسولون كراسي وزارية، مثقفون متسولون يمارسون المدح والثناء التكسبي، مؤلّفون متشبعون بثقافة التسول يفتتحون كتبهم هكذا «كتبه عبيد الله المفتقر لعفوه وفضله ورحمته» ويختمون بشكر ولي النعم.

تتسبب الصدقات في تأييد فقر من يتلقونها. في نقد المجاني يردد المغاربة «الغابور كيغرق البابور» (المجاني يغرق السفينة). حاليا لا شيء يعادل اقتصاد القبر إلا فتاوي وكتب «عذاب القبر». ما كان تجارة سبصير لناك، لكن المتصوف المغربي الملتصق بأرضه ولله الحمد قد هزم السلفي الجوال في الميدان لحد الآن.

محمد بنعزیز

كاتب وسينمائي من المغرب

حلب: تمهّل داخل نفق 16 تشرين

تلتصق الأسئلة بالأذان كصعغ حي، لا نجاة منه. هل انتهت الحرب؟ هل تفقّدت بيتك، أسعدود إليه؟ هل ستتوقف المعونات والسلال الغذائية؟ هل سيعود النازحون؟ هل ستعود الكهرباء وينتظم تدفق المياه؟ هل ستعود الدولة إلى دعم الوقود وبعض المواد الغذائية؟ هل تعود الحياة للمناطق الصناعية.. تبدو الأسئلة سهلة، لكن لا أحد يصل إلى إجابة عن أسهلها.

يتناهى صخب فتيان من أعلى الجسر، حيث توزع القاطرات وعربات النقل بين الخطوط الحديدية المهملة، وهم يلعبون الكرة في المساحات الخالية من محطة القطار التي توقفت قطاراتها عن العمل منذ سنوات خمس.. كما تتعالى أحاديث فتيان آخرين، يودعون حقائبهم المدرسية فيما بينهم قبل انتخاب المجازفين منهم ليتسلقوا سور المنزل ويظفوا ثمار أشجار البرتقال التي امتدت أغصانها إلى فوق الرصيف. لا أحد يحذرهم من نتائج مخاطرة تسلق الحافة الضيقة للسور، بعدما غدا الموت والإصابات الجسدية من متمات الحياة اليومية، ولا من ترقبّ خروج مذعور لأصحاب البيت لمعايقتهم بالكلام على فعلتهم.. لأنهم يعلمون أن البيت مهجور، وأصحابه غادروه منذ زمن.

قد تمهّجّر المدينة لا لتقص في عواطف أهلها، ولا لتقطع وشائج الانتماء للبريق الأسر في عيون لياليها، ولا لهوداج الحياة التي تنتقل الهوينى في نهاراتها. بل لغياب أسباب الحياة. وكأن المياه جفت بين المدينة وأهلها. لم يكثرثوا بحشد

«حول المدينة». يقوم النفق بالوصل بين حيز التوسع المدني الأول، الذي انتظم خلال عهد الانتداب الفرنسي خصوصاً، والتوسع المدني الثاني الذي لم ينتظم وفق تخطيط مديني إلا في بعض أحيائه، بينما تخبط عشوائياً في أطراف المدينة الأربعة، وبالأخص في شرق المدينة وجنوبها.

لم يحتفظ المشهد بعناصره التي ترسخت قبل خمس سنوات. أمست المؤسسة الاستهلاكية التابعة لوزارة التموين تبع بأسعار السوق وربما أعلى قليلاً، واستردت الوزارة نفسها المركز التجاري الذي كانت قد أجزته لشركة تركية متخصصة بإنتاج وتسويق الأثاث المنزلي. استبدل المركز المتخصص بتسويق الأفراس المدمجة بعد تقسيمه، بورشات لصناعة الألبسة النسائية. واستبدل مركز وكالة سيارات شيفروليه، بمركز «حلال» للتسوق.. وغابت الفتيات اللاتي كن يتشمسن في عهد خلا على الشرفات، وقد أسندن مراقفن على الحواف الحجرية. توسعت مستودعات الهيئة العامة للمطاحن لتستقبل قوافل شاحنات الإغاثة، كما تحولت رحبة تصليح عربات القطارات إلى مركز معاينة السيارات والآليات.

وصلت إلى حيي «محطة بغداد» و«الشيخ طه» اللذان يلاصقان النفق من شماله وجنوبه، مئات العائلات من النازحين، استأجروا أو أمّنوا بيوتاً من أصدقاء وأقرباء، وسكنوا أقبية العمارات المخصصة كملجأ أو بيوت مؤقتة، والدكاكين وأسطحه العمارات. لا بيوت ولا دكاكين ولا أقبية خالية في هذين الحيين.

لا ضرورة لمواعظ تعثّ الفرائض الفلسفية من أجدانها «الحق والخير والجمال»، وتبحث لها عن مكان تقحهما فيه. بعد رؤية من أعالي النفق

المدن الخالية، أقاميا وتدمر وماري ويصّرى.. التي استرخت على مجاري الأنهار والوحدات الثرية بالبنابيع، حسبوا امتحان تقويض المدن قد أمسى نسياً منسياً لأزمان لن تعود ولا يمكن تكرارها. لكنها عادت لمدن كبرت بأهلها وتعالّت بأحلامهم المتجددة.

أطلق عليه اسم «جسر 16 تشرين»، لكنه في الحقيقة «نفق 16 تشرين»، نفق لعبور السيارات والحافلات والشاحنات، ارتفع على طرفيه ممر للمشاة. يشير اسمه إلى اليوم الذي حدثت فيه الحركة التصحيحية في 1970 من القرن الماضي. مضى الزمن.. ستة وأربعون عاماً، تخللتها العديد من الوقائع التي تركت آثارها في التكوين الاجتماعي- السياسي: حرب تشرين، التدخل العسكري في لبنان، الصراع مع جماعة الإخوان المسلمين و«طليعتهم المقاتلة»، تصفية اليسار الثوري.. ما من واقعة في تاريخ السلطات خارج قدرات التفسير وإمكاناته. ولكن الفكر لا يعجز عن فهم السلطة إلا بعد تحويلها إلى ميتافيزيقيا.

شق النفق في أواخر الثمانينات من القرن الماضي، تحت الامتداد الشمالي لمحطة القطار المركزية المعروفة محطة بغداد، بغاية اختصار المسافة الانثفاية الطويلة المؤدية إلى حي السريان وحي الأثرفية وما بعدهما. التقى بصعوده، بعد مسافة تزيد على منتي متر، بالطريق المزدوج الذي يدور حول محيط المدينة المعروف ب«الدائري الشمالي»، الذي يكتمل بطريق مزدوج آخر يحمل اسم «الدائري الجنوبي»، وهما طريقان مزدوجان منتصfan بجزيرة نباتية، جددا الطريق المفرد، الذي شق وعُبد في عهد الانتداب الفرنسي، وحمل اسم

عزيز تسيي

كاتب من سوريا

في المئة من النساء في المدن المغربية لا يساهمن في النشاط الاقتصادي، وكعلامة على وجود أزمة فقد قد انخفض معدّل النشاط الاقتصادي للنساء من 25 في المئة عام 2000 إلى 22.6 في المئة عام 2014

82

متابعات

ضحى الكاتب / العراق

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
- المقاومة الشعبية لـ«البلطجة».. حدوتة مصرية تفقد الأمان - منى سليم
- الاعتفاء البطيء لسينما الواقعية المصرية - أحمد مدحت
- معرض جديد في تونس: القوانين الرائدة أهم من التحف - كوتر ربحي

تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

«العدالة الانتقالية» في تونس (2) جلسات استماع علنية لضحايا الديكتاتورية

آخر. أغلب أحزاب المعارضة التاريخية والمنظمات الحقوقية التي ناهضت النظام الديكتاتوري عبرت عن رضاها، وابتهاجها بهذه الجلسات التي تكشف جزءاً من تاريخ تونس، وتعيد نوعاً ما الاعتبار لآلاف الضحايا الذين اضطهدوا وحوصروا في قوتهم وأبعدوا عن عائلاتهم.

والطبع كان هناك من انتقد هذه الجلسات بشدة، وحتى هاجمها وحاول تشويهها. منتقدو الجلسات العلنية ينقسمون إلى قسمين أساسيين: هناك الذين يعتبرونها أدنى من المطلوب، وآخرون يعتقدون أنها تبالغ. القسم الأول من المنتقدين يرون في هذه الجلسات امتصاصاً للغضب، وخطوة نحو المصالحة مع نظام القمع، مما يُضخّ حقوقي الضحايا ويمنح صكوك غفران للمسنولين والجلادين. القسم الثاني يتألف أساساً ممن عملوا مع النظام الديكتاتوري، سواء في أجهزته الخشنة (مراكز التحقيق والتعذيب، والسجون) أو الناعمة (سياسيون، وإعلاميون، وأكاديميون، وفنانون ومثقفون..)، ويحاولون تشويه مسار العدالة الانتقالية بكل الطرق، لأن نجاحه يعني إدانتهم وقضجهم. هؤلاء يعتمدون عدّة حجج لتبرير موقفهم.. فيتحذرون تارة عن أنّ العودة إلى الماضي هي فتح لجروح قديمة تؤلم الضحايا وتوتر العلاقة بين مكونات المجتمع، ويحاولون تارة أخرى «إغراق السمكة» أو إضاعة الموضوع عبر القول بأنه حتى المتورطون في خدمة الديكتاتورية هم في آخر الأمر ضحايا، لأنهم لم يكن لديهم خيار آخر في ظل نظام قمعي. وعندما لا تجد حججهم «العاطفية» قبولاً وصدى، يلجأون إلى حجج أخرى أكثر «عقلانية»: فالعدالة الانتقالية ستحول إلى انتقام مما سيخفف رجال الأعمال الذين كانوا مقرّبين من النظام ومما سيحطل الاستثمار الأجنبي، كما أنّ التعويضات المادية التي ستصرف للضحايا ستكلف البلاد الكثير من الأموال، وهي بأمر الحاجة إليها في ظل الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعيشها. وعندما تنفذ كل الحجج يعودون إلى أساليبهم القديمة: التشويه. فتارة يتهمون رئيسة الهيئة بالفساد المالي، وتارة يعتبرون أن الإسلاميين هم المتحكمون بالهيئة والمستفيدون منها.

ختمان..

تعتبر العدالة الانتقالية «أضعف الإيمان» في بلد شهد سقوط نظام ديكتاتوري. لكنّ المشكلة الأساسية في تونس أن النظام لم يسقط بالكامل، واستطاع ترميم نفسه، وارتدى حلّة جديدة متناسبة مع التغيرات التي وقعت. الانتكاسة التي حصلت في تونس جعلت مسار العدالة يتعطل لسنوات طويلة، حتى كاد ينسى تماماً لولا مصادم المجتمع المدني وبعض الأحزاب السياسية. الصراع ما زال مفتوحاً في تونس.. صراع إرادات.. صراع الماضي والمستقبل.

محمد رامي عبد المولى
باحث من تونس

اعتبارها خطوة أولى ناجحة (رغم كل النفاض) نحو إعادة كتابة تاريخ تونس.

تكلّمت الضحية فهل يعترف الجلاد؟

جلسات الاستماع العلني آتت بعد آلاف جلسات الاستماع السرية، والشهادات التي نقلت مباشرة عبر القنوات التلفزيونية هي عينة بسيطة من تاريخ القمع ذاك. اختيار الشهادات الحية لم يكن اعتباطياً، فخلال يومين استمع التونسيون والعالم إلى شهادات من ضحايا (أو من أهلهم) ينتمون إلى مختلف التيارات السياسية، وهم تجرعوا عدة أنواع من القمع في مراحل مختلفة من تاريخ البلاد المعاصر. في اليوم الأول، استمعنا في البداية إلى شهادات ثلاث من أمهات شهداء انتفاضة 2010/2011، اللواتي لا زلن يطالبن بكشف هوية القتل، وينددن بأحكام القضاء العسكري التي لم تنصفهن. ثمّ تلتها شهادات كل من أم وزوجة مناضل اختطف وقتل ولم يكشف إلى اليوم مكان جثته. واختتمت الجلسة بشهادة لسامي براهيم (أكاديمي إسلامي) وجيلبير النقاش (كاتب يساري) عن تجربتهما مع الاعتقال والتعذيب والسجن خلال التسعينيات للاول والسنتين للثاني. وتضمنت جلسة اليوم الثاني ثماني شهادات أخرى، بعضها قدمها أقارب مناضلين شيوعيين وإسلاميين قتلوا تحت التعذيب، وبعضها الآخر لمساجين سياسيين عربيين ويساريين وإسلاميين تحدّثوا عن الانتهاكات الجسدية والنفسية الجسيمة التي تعرضوا لها خلال عهدي بورقيبة وبن علي.

الاستماع بانتباه إلى الشهادات المتعاقبة يرقى إلى درجة المازوشية، لكنّه كان ضرورياً حتى لا ينسى التونسيون ما حدث في بلادهم، وحتى يعي إنناؤهم قيمة الحرية النسبية التي يعيشونها اليوم. جلسات الاستماع كانت أيضاً فرصة حتى لا يقول أحد إنّه «لم يكن يعلم»، كما أنها فحّات دماً عمره أكثر من نصف قرن، كانت آلة الدعاية تحول إخفاءه بكل الوسائل. تحدّث الضحايا وأهلهم عن آلام ومعاناة استمرّت لسنوات طويلة من أعمارهم وما زالت آثارها باقية إلى اليوم. أغلبهم لم يطلب قصاصاً ومعنى «العين بالعين» ولكنهم يريدون رد الاعتبار، واعترافاً من الجلاد، واعتذاراً من الدولة.

ردود فعل متباينة

الجلسات كان لها وقع كبير على أغلب التونسيين، وإن كانت ردود الفعل تراوحت بحسب الموقع السياسي. على المستوى الشعبي، كان لشهادات الضحايا تأثير الصدمة. فعلى الرغم من أنّ أغلب التونسيين سمعوا عن قصص التعذيب وبشاعة الممارسات التي تسلط على المساجين السياسيين، فإن الاستماع إلى شهادات حيّة من أشخاص يروون عذاباتهم بالتفصيل المؤلم كان له طعم

انطلقت في تونس يومي 17 و18 تشرين الثاني/ نوفمبر الحلقة الأولى من جلسات الاستماع العلنية لضحايا الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وقد حضرها بالإضافة إلى الضحايا وعائلاتهم، عدة سياسيين وناشطين حقوقيين تونسيين وأجانب. وعقدت الحلقة الثانية في 17 كانون الأول/ ديسمبر (ذكرى اندلاع الانتفاضة الشعبية)، وستعقد الحلقة الثالثة في 14 كانون الثاني / يناير (ذكرى هروب بن علي). وحدهم الرؤساء الثلاثة غابوا عن المشهد. غياب/ صمت موغل في البلاغة، وتعتبر هذه الجلسات انتصاراً مهماً حتى وإن كان جزئياً ورمزياً. فهي أعطت الفرصة لرد الاعتبار لضحايا عقود من الظلم، بانتظار أن يعترف الجلادون و يعتذروا. وتباينت ردود الفعل على مستوى «النخب» وعموم المواطنين بحسب الانتماءات السياسية والإيديولوجية.

انتصار رمزي للضحايا وللذاكرة الجماعية

قد يعتبر البعض أنّ مجرد عقد جلسات تنقل في التلفزيون لا يعتبر إنجازاً عظيماً في بلد شهد «ثورة» وتحزّر من نظام ديكتاتوري، وينعم حالياً بحرية التعبير. قد يكون ذلك صحيحاً عندما يُعتقد أنّ الأمور قد حسمت في تونس، كما يروّج لذلك الإعلام المحلي والأجنبي على السواء. لكنّ الأمر ليس بتلك البساطة، فالصراع ما زال مستمراً في البلاد ما بين الذين يريدون قسب تعديل صورة النظام وبين الذين يندشون تغييراً حقيقياً ويريدون أن يقطعوا قطعاً مع الماضي وأن يصفوا مستقبل البلاد من القمع والاستبداد. موازين القوى اليوم في تونس هي في صالح الأوائل. أغلب المناصب السياسية والإدارية المهمة يسيطر عليها «أزلام» النظام القديم / الجديد. كما أنّ حالة عدم الاستقرار التي لم يعتد عليها الناس جعلت جزءاً منهم يحن إلى «أيام» بن علي «الأمّنة». ووسط هذا المناخ المعادي، تبرز جلسات الاستماع العلنية لضحايا الاستبداد كنقطة ضوء وكانصار رمزي على كل الذين حاولوا طمس الحقيقة وقطع الطريق أمام العدالة. الجلسات كانت تحت مظلة جريئة تذكر لكل من نسي أو تناسى أنّ تونس كانت ترزح تحت نظام قمع كل المكونات السياسية المعارضة، وعطلّ الحياة الثقافية والحريات، وانفرد بالقرار، وبذد ثروات البلاد، ورهن مصلحتها للمؤسسات المالية الدولية. مشاهدة ضحايا القمع يتحدّثون عن جرحهم وعن جلاذيتهم في قنوات التلفزيون أمام ملايين البشر هو شيء مختلف تماماً عن زمن الخوف، عندما كان الناس يتحدّثون همساً خوفاً من «أذان الجدران».

غياب الرؤساء الثلاثة وكبار المسؤولين عن افتتاح الجلسات كان في مكان ما اعتراف بالهزيمة. هذه الجلسات هي أيضاً انتصار للذاكرة وتوثيق لما كان يتناقله شفهاً المناضلون والضحايا. يمكن

«جائزة شوكان للتصوير» في دورتها الثانية تسلط الضوء على قضية المصور الفوتوغرافي محمود شوكان المعتقل منذ فض اعتصام رابعة في آب / أغسطس عام 2013. هنا 4 من بين 40 صورة وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة التي تنظم بجهود فردية، وقد وصل إليها 3500 صورة

شوكان: الكاميرا - الذاكرة

.. بألف كلمة



في التوبة (تصوير: السيد عبد القادر)



فاطمه اعتادت الوقوف في بلكونتها كل يوم (تصوير: أسماء جمال)

اليمن: شروط الأمان والخير

الصورة بالأبيض والأسود المعلقة على أحد جدران منزل عمي الأستاذ محمد عبده نعمان الحكيمي كانت تروي قصة. قصة نضال شابين هما عمي ورفيقه الأستاذ أحمد قاسم دماج. قصة كان يرويهما لي أبي وأنا طفلة ولم أفهم منها حينذاك سوى أمراً واحداً: أننا بخير وأننا في أمان ما دام في اليمن عمي ودماج.

رحل عمي ورحل رفيقه عمر الجاوي ورحل آخرون. رحل الكثير منهم تباعاً، وبقيت صورهم معلقة على جدران المنزل. واليوم رحل الأستاذ دماج، ولا أظن أحداً قد بقي بعده من الرفاق في الصورة ليرحل.

لرفاق من جيل سبتمبر وأكتوبر صوراً قفزنا جميعاً في النقاط أخرى شبيهة بها. ولصورهم قصة لم نستطع كتابة مثلها، لكن علينا أن نفعّل ذلك حتى يشعر أطفالنا بالأمان وبأنهم بخير.

من صفحة وميض شاكر على فيسبوك

السيبي يبيع المستشفيات الحكومية

الأهرام: «السيبي يطالب الصحة بطرح عدد من المستشفيات الحكومية التكميلية على المستثمرين لتوفير ثمن العلاج لغير القادرين». ماشاء الله عليه، ماشاء الله عليه، نبيه جداً!
إحنا نبيع المستشفيات، اللي هي أصلاً مش مستشفيات، ويادوبك شوية كراكيب.. ليه بقى؟ عشان نجيب فلوس نعالج فيها المواطن الغلبان.. نعالجه فبن بعد ما بعنا المستشفيات؟ مش مشكلة، دي شكليات.. طيب يا ريس إنت أصلاً بتقلل ميزانية الصحة، وتروح تشتري سلاح محدش فاهم شتعمل بيه إيه، وتغلي الأدوية، والمستشفيات الكبيرة ماشية بالتبرعات، مش ماشية أوي بس بتحاول.. مواطن غلبان من اللي يبهما؟ ده إنت كل يوم بتدهسه بجزمتك عشان الشرطة والجيش ينسبطوا، ما هو لو المواطن الغلبان صعيان عليك كنت تزود ميزانية الصحة، تجيب أدوية، تحسن أوضاع المستشفيات والذكاترة، تعمل أي حاجة غير إنك تبع.. أي حاجة هنتقى أحسن من التخلف ده!
ثم إحنا ضمن البيعة ولا إيه موقفنا؟ يعني أنا دكتور في الوزارة هنتاع أنا كمان ولا إيه، أنا ماخداش في العملية ديه أقل من عشرين جنيه.

من صفحة Ahmed Abdelmoneim على فايسبوك

الجزر مصرية وكذلك الشباب المعتقلون!

الصور البشعة دي للقبض على مجموعة من أجدع شباب مصر اللي نزلوا امبارح يعلنوا بسلمية وتحضر موقفهم بإن تيران وصانفر مصرية.. أياً كان رأيك في موقفهم، دول ناس نزلوا لقضية وطنية بحتة، يقولو الأرض دي من بلدنا، الأرض دي جيشنا حارب عشائنا، ومات عساكر مصريين كانوا بيحموها، هل دي جريمة تستوجب القبض عليهم؟
وكمان نفس الأسلوب القديم جداً، أفراد شرطة ملبس مدنية هما اللي يقضوا بالضرب والسحل؟ عيب فعلاً نقول شكليات زي ان القانون بيمنع على الملابس الرسمية، وعلى حسن معاملة المتهم.. عيب نقول كده اذا كان القانون والدستور بيمنع بيهم الأرض كل يوم، والقصة دي في جوهرها عدم احترام القضاء اللي قال بحكم واضح ان الأرض مصرية، وبعدين الحكومة طعنت، وموعده النطق بالحكم النهائي عند المحكمة الادارية العليا يوم 16 يناير فالي حصل هوا التهورب من القضاء بإحالة مفاجئة وعاجلة للبرلمان
ولما اتنم واتقنن جدا من موقفكم انها سعودية، ليه منتظرتوش أسبوعين، جازي الحكم النهائي ينصفك ما دام مش عاجبكم حكم أول درجة؟ هوا القضاء ده كمان من شباب الثورة اللي مش عاجببتكم؟ هوا القضاء دول كمان هنتقولو عليهم مؤولين؟ وإلا خوثة؟ وإلا عيال وماخداش فاهمين؟

من صفحة «الموقف المصري» على فايسبوك

مدونات